ملتقى النبأ للحوار
Al-Naba Forum for Dialogue
N.F.D

وسائل الاتصال ودورها في تطور ثقافة التسامح والتعايش السلمي

Means of communication and their role in the development of a culture of tolerance and peaceful coexistence

• م. د. حنان عباس خير الله

ملتقى النبأ للحوار
العراق - كربلاء المقدسة - العباسية الشرقية
Iraq - Karbala - Al-Abbasiya Al-Sharqiya

nabaaforum.org
annabaaforum@gmail.com
+9647709719016

وسائل الاتصال ودورها في تطور ثقافة التسامح والتعايش السلمي

م. د. حنان عباس خير الله/ كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ذي قار.

المقدمة

ان التعايش الذي أكدّ عليه الدين الاسلامي والذي يعني العيش والتعاون مع الآخر المختلف، تعني القبول بالتنوع والاختلاف والعمل على أساس القواعد المشتركة والمصالح المتبادلة، وقبل ذلك مصلحة البلد والامة والعمل على أساسها . وقد أكدت وثيقة الدين على أن التعايش هو التجسيد لمبدأ العدل والمساواة في الدين الاسلامي فالناس سواء في الحقوق والواجبات، لذا كانت وثيقة الدين مصدر يرجع اليه للنظر في حل الكثير من أزمات التعايش بشكل خاص والمشاكل الاخرى السياسية والاقتصادية بشكل عام.

إن الاتجاهات المتحركة لتغيير العالم اليوم هي تكنولوجيا الاتصالات وتطور المعارف والعلوم التقنية الجديدة، وهذه التغيرات المتسارعة والمستجدات الطارئة التي يشهدها العالم تثير كثيرا من علامات الاستفهام والتساؤلات، عما سيكون عليه مستقبل المجتمع الإنساني ومصير العلاقات الإنسانية، وإذا أردنا أن نستشرف المستقبل يجب النظر إلى دوافعنا وغاياتنا والقوى والغرائز الأساسية التي توجهنا، بالإضافة لكافة التأثيرات التي نتعرض لها نتيجة حياتنا الاجتماعية والثقافية والعقائدية.

ملتقى النبأ للحوار
Al-Naba Forum for Dialogue

فمجال تكنولوجيا والإعلام والتواصل اليوم هو أهم العوامل التي تتحكم في مصير الشعوب بحيث تتم عملية تكوين الرأي عند البشر من خلال برامج معمقة للمعتقدات والأفكار الدينية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية، بما في ذلك العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية.وهذا التوجه الشبكي الاتصالي الجديد عن بُعد منح حرية واسعة جداً في التعبير الفكري والعقائدي والأدبي والسياسي والاجتماعي والفني، مما أتاح فرصة التواصل الثقافي والفكري والعقائدي العالمي، وبالتواصل تفعّل قدرة آليات الانفتاح والإطلاع المعرفي داخل الساحة الفكرية العالمية، فترتقي وسائل اختبار القدرات وتطوير مهارات الإبداع لدى أجيال ثورة تكنولوجيا الاتصال.

وتقوم الدراسة بتتبع مفهوم التسامح والتعايش السلمي، والوسائل التي تساهم في تطورهما لاسيما الاتصال والبيئة والوسائل التعليمية والمواد والمناهج في التعليم، كما تم التطرق الى وسائل الاتصال الحديثة التي تشمل الاذاعات السمعية والمرئية، وشبكة المعلومات الدولية الانترنيت، ودور الصحف والمجلات، فضلا عن دور المؤسسات الاعلامية في نشر ثقافة التسامح والتعايش السلمي من خلال البرامج والمناقشات والحوار بين الاطراف المختلفة .

وسائل الاتصال ودورها في تطور ثقافة التسامح والتعايش السلمي

اولا: مفهوم التسامح والتعايش السلمي

هناك العديدة من المفاهيم المتداولة اليوم التي تحتاج الى تحديد دقيق لمعانيها ومدلولاته وذلك لان استخدام هذه المفاهيم بلا ضبط المعنى الحقيقي لها يساهم في تشويه هذا المفهوم على مستوى المضمون، كما انه يجعله عرضة للتوظيف الايديولوجي المتعسف، لذلك فان تحديد معنى المفاهيم المتداولة يساهم في خلق الوعي الاجتماعي السليم بها. ومن هذه المفاهيم التي تحتاج الى تحديد معناها الدقيق وضبط مضمونها الفلسفي والاخلاقي والاجتماعي، مفهوم التسامح حيث ان هذا المفهوم متداول اليوم في كل البيئات الايديولوجية، ويتم التعامل مع هذا المفهوم ولوازمه الثقافية والسياسية باعتباره ثابتة من ثوابت المجتمعات المتقدمة لذلك، وبعيداً عن المضاربات الفكرية والتوظيفات الايديولوجية المتعسفة، نحن بحاجة الى ضبط المعنى الجوهري لهذا المفهوم وتحديد مضمونه وجذوره الفلسفية والمعرفية وبيان موقعه في سلم القيم والمبادئ الاجتماعية[1].

تجمع قواميس اللغة ومعاجم الفلسفة والسياسة والتي تقدم مفهوم التسامح بمعناه الأخلاقي على انه- موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من الغير، سواء كانت مواقفه مخالفة للأخر اي الاعتراف بالتعدد والاختلاف وتجنب اصدار احكام تقصي الاخر. بمعنى أخر التسامح هو احترام الموقف المخالف[2].

وظل المفهوم من حيث نشأته بوصفه مفهوما مقترنا بمحاولة تقريب المسافة بين المذاهب الدينية المتصارعة التي ترتب على تصارعها، والتعصب لكل منها، حروب دينية مدمرة، وأشكال اضطهاد غير انسانية، ظلت تعانيها اوروبا لوقت طويل. ولذلك بقي مفهوم التسامح

1 محمد محفوظ، في معنى التسامح، التسامح وافاق السلم الاصلي، بحث ضمن كتاب التسامح وجذور اللاتسامح، ط1، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2005، ص 183.

2 محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص20.

دائراً في الدائرة الدينية بالدرجة الاولى، مقترنا بالنزعة العقلانية التي سعت الى وضع الافكار والمعتقدات والمسلمات القديمة موضع المساءلة، وذلك في نوع من اعادة الاعتبار الى العقل ومنحه المكانة الاولى في المعرفة وصياغة القيم الفكرية على السواء[1].

وعندما انتقل المفهوم الى الثقافة العربية مع اواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ظل دائراً في الافق نفسه، وظلت الصراعات الطائفية التي ادت الى حروب اهلية، هي الاصل في نقل المفهوم والدافع التكويني الى صياغة او اعادة انتاجه عربياً[2].

ولم تستخدم الثقافة العربية كلمة التسامح التي نستخدمها في هذه السنوات مقابل كلمة التعصب وانما استخدمت كلمة التساهل مقابلا لمفردتي Toleration و Tolerance، اللتين لا فارق كبيراً بينهما، وتدلان في سياقهما الثقافي الذي ينقل عنه على الكيفية التي تعامل بها المرء مع كل ما لا يوافق عليه، فلا يعاديه لمجرد اختلافه وانما يتقبله بوصفه لازمة من لوازم الحرية التي يقوم بها معنى المواطنة في الدولة المدنية الحديثة، ولكن الترجمة السابقة المستخدمة الآن لم تستمر طويلاً، فقد اثر عليها اللاحقون ترجمة الاصل الاجنبي المتحد في الانكليزية والفرنسية وغيرهما من اللغات الاوروبية الحديثة بكلمة التسامح التي شاعت ترجمتها اليوم، واغلب الظن ان السبب في ذلك يرجع الى ان الجذر اللغوي للترجمة العربية (سمح) يقترب من الدلالة الاجنبية، ويرتبط بمعاني العطاء والرحابة والصفح ولين الجانب والتساهل على السواء[3].

ثانيا: الدلالة التاريخية للمفهوم

تؤكد دلالات مفهوم التسامح الشائعة والمعاصرة معاني اوسع بكثير من المعنى الديني المحدد الذي ارتبطت به في اصل نشأتها. وكان ذلك في موازاة انتقالها من الافق الدلالي الديني الى الافق المدني وارتباطها في الافق الاخير بالعديد من الدوائر المتشابكة اجتماعياً وثقافياً وسياسياً وابداعياً. والنتيجة ان اصبحت دلالات التسامح قرينة حق المغايرة والاختلاف بوصفه حقاً اساسياً من حقوق الانسان، وحقيقة راسخة من حقائق الوجود في كل مجاليه، واصبحت دلالات التسامح اكثر اتساعاً في مجالات ممارساتها واكثر تنوعاً في توازي دلالاتها، خصوصا تلك التي تشير الى تقبل وجود الآخر المختلف ومجادلته بالتي هي احسن، والانطلاق في المجادلة من مبدأ المساواة الذي لا يرى (الآخر) ادنى او اقل، لانه (آخر) مختلف اومغاير[4].

1 جابر عصفور، عن التسامح، مجلة دبي الثقافية (دبي)، العدد 25 (تموز / 2007).
2 المصدر نفسه
3 المصدر نفسه.
4 محمد محفوظ، المصدر السابق، ص185-184.

لكـن المفهوم تغـيرت دلالته تغـيراً تدريجيـاً وكان لابد ان يحـدث ذلك مع شـيوع الافكار الديمقراطية في موازاة شـعارات الثورة الفرنسية التي رفعت ثالوث الحرية والمساواة والعدالة والتكافـؤ . وكانـت النتيجة ان تحولت ثنائيـة التراتب الى ثنائية التكافـؤ في الصياغة التصورية للمفهوم واقترانه بعد توسيع دلالته واكتسابه دلالات جديدة [1].

كان العديد من مفكري التنوير العربي قد فهموا الكثير من الابعاد الايجابية للمفهوم، فأكدوا ضرورة الدولـة المدنية بوصفهـا الفضاء الذي يعيش فيه التسـامح ويتزايد، بل يجد من يصونه ويرعاه ويحميه داخل منظومة حقوق الانسان المعترف بها في الدولة المدنية. وترتبط بهذا التأكيد فكرتان متلازمتان في تفكيرهم:

اولاهمـا:- انه لا وجود للتسـامح الا مع تقبل مبدأ الحرية وممارسـته في كل مجالاتها وفي كل مستوياتها ومعانيها.

ثانيهـما:- الايمان اللامحدود بقدرة العقل على الوصـول الى المعرفة بذاته وقدرته النهائية على تطورهـا الى مدى لايحده حـد والايمان بالعقل يعنـي الايمان بالعلم الذي يتبـادل معه الوضع والمكانة فيغدو كلاهما وسـيلة لقرينة ودعماً له في صعود سلم التقدم الذي لا نهاية له او حاجز، اعني التقدم الذي لا يمكن ان يتحقق الا بالخطوة الاولى التي تقترن فيها استنارة المجتمع بانوار العقل التي تقتضي على ظلمات الجهل، ويناقض فيها التسامح التعصب الى ان يقضي عليه فيحل الانفتاح محل الانغلاق، وقبول الاختلاف محل رفضه، وتسـتبدل ثقافة العلم بالخرافة، والعقل بالنقل، ومن ثم التقدم بالتخلف[2].

هكـذا تباعد مفهوم التسـامح عـن الدائرة الدلالية التـي تقترن بالتراتب وتمركـز في الدائرة الدلالية المحيطة بمركز المسـاواة والتكافؤ، واصبح التسـامح قرين التقبل الايجابي للاختلاف. والايـمان بالحضـور الطبيعي للمغايرة على مسـتوى الفرد والجماعة والمجتمعات على السـواء. ويعني ذلك مجادلة الآخر بالحسـنى في مدى الاختلاف الفردي دون تخل عن الايمان بالمسـاواة والتكافـؤ، وانه ما من طرف على خطأ مطلق او عـلى حق مطلق، كما يعني محاورة افراد الجماعة بعضهـم بعضـاً دون تعال من فئة او تمييز ضد اخرى على اي اسـاس او من اي منطلق. ويعني اخـيراً الحوار الخلاق بـين الثقافات والحضارات من المنظور الانسـاني القائم عـلى ثراء التنوع البـشري المقـترن بالتعددية والمغايرة والاختـلاف، وذلك من منظور يرد مسـتقبل البشرية الى

1 محمد عابد الجابري، المصدر السابق، ص25-23 .

2 محمد احمد حسونة بك ومحمد خليفة التونسي، التسامح في الاسلام، دار الكتاب العربي، مصر، 1968، ص66-64 .

الاعتـماد المتبادل بين دولهما، خصوصا في المشـكلات التي لا يمكـن ان تنهض بها دولة واحدة مهما بلغت قوتها، او ثراؤها، واضف الى ذلك منظور احلال الحوار محل الصراع، والتعاون محل الانانية، وحوار الحضارات والمجتمعات محل تسامحها، بلا فارق في مدى القضاء على التعصب والاستغلال والتمييز، فذلك وحده هو السبيل الى مستقبل افضل للبشرية[1].

ان فكرة التسامح، تعني القدرة على تحمل الرأي الاخر، والصبر على اشياء لا يحبها الانسان ولا يرغب فيها بل يعدها احيانا مناقضة لمنظومته الفكرية والأخلاقية، وذلك ان قبول مبدأ التسامح وفكرة التعايش يعني تجاوز سـبل الانقسـام الذي يقوم على اسـاس الدم او الرابطـة القومية او الدين او الطائفة او العشيرة او غيرها من الناحيتين النظرية والأخلاقية على اقل تقدير[2].

ومبدأ التسـامح يعني التعايش على نحو مختلف، سـواء بممارسـة حق التعبير عن الرأي او حق الاعتقاد او حق التنظيم او الحق في المشـاركة السياسية، وهي المحور في فكرة حقوق الانسان التي تطورت منذ الثورة الفرنسـية عام 1789، وقبلها الدسـتور الامريكي عام 1776، وذلك بتأكيد حق كل فرد بان لا يكون هناك قيد حريته اذا احترم حريات الآخرين وحقوقهم ولم يعتد عليها[3].

ان قبول التعايش والتسامح يعني الموافقة على ما هو مشترك حتى وان كان في نظر الآخر غير اخلاقـي او ربما اقرب الى فكر الشر ان لم يكن شراً بالفعل. وبهذا المعنى فان مبدأ التسـامح هو فكرة اخلاقية ذات بعد سـياسي وفكري ازاء المعتقدات والأفعال والممارسـات، ونقيض فكرة التسامح هو اللاتسامح، اي التعصب والعنف ومحاولة فرض الرأي ولو بالقوة[4].

ان التعايـش يعني التعلم للعيش المشـترك، والقبول بالتنوع، بـما يضمن وجود علاقة إيجابية مـع الآخر. فلقـد عرَفت هوياتنا العلاقة مع الآخر، فعندما تكـون العلاقات إيجابية وعلى قدم المسـاواة معه، فإن ذلك سـوف يعزز الكرامة والحرية والاسـتقلال، وعندما تكون العلاقات سـلبية ومدمرة فإن ذلك سـيقوّض الكرامة الإنسـانية وقيمتنا الذاتية. وهذا ينطبق على الفرد والجماعة والعلاقات بين الدول، فبعد أن شهدنا حربين عالميتين وحروباً لا حصر لها من الدمار والإبادة الجماعية، صارت مسـألة تعزيز التعايش على جميع المستويات أمراً ملحاً للقرن الواحد والعشرين[5].

1 جابر عصفور، اتساع مفهوم التسامح، مجلة دبي الثقافية (دبي)، العدد 26 (تموز/ 2007).
2 محمد احمد حسونة بك ومحمد خليفة التونسي، المصدر السابق، ص 70-68 .
3 محمد عابد الجابري، المصدر السابق، ص32 .
4 عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الاسلامي، ط1، دار النهار للنشر، بيروت، 2005، ص55.
5 محمد احمد حسونة بك ومحمد خليفة التونسي، المصدر السابق، ص65 .

وبما ان الحاجة تدعو اليوم لمواجهة ما يتصف به عصرنا من مواقف وسلوكيات تميل الى التطرف وتمارس العنف – كما فترات عديدة من التاريخ البشري – الى بعث الحياة في القيم الانسانية السامية واخصابها ونشرها، فقد يكون من المناسب التدقيق في مفهوم التسامح الذي ينتمي اصلاً الى سجل الفضائل ومكارم الاخلاق التي تمتدح في سلوك الشخص وينصح بالتحلي بها، وذلك بطرح العلاقة بين التسامح وكل من الدين والايديولوجيا والسياسة والفلسفة.

ثالثا: وسائل تطور التسامح والتعايش السلمي

بيئة الاتصال التوعوي

ان الفرد حتى يتصل بفرد اخر فإنه يستهدف عادة الوصول الى اتفاق عام او وحدة فكر بصدد موضوع الاتصال ويرى ارسطو ان الاتصال هو محاولة جذب الاخرين لتأييد وجهة نظر المتحدث (في حين يرى جون ديوي الاتصال على انه عنصر لازم للحياة الاجتماعية لاتقوم بدونه ولايتم نقل التراث الثقافي او تنميته الا به ويعرف دوركايم الاتصال على انه نشاط اجتماعي يتسم بأنه تلقائي النشأة وانه ظاهرة عامة منتشرة ويمتاز بأ نه ذو طبيعة تاريخية ومزود بالجبر والالزام وانه يتسم بالجاذبية وعرف الاتصال بأنه العملية التي يقوم شخص ما بإرسال رسالة الى شخص اخر ويحصل منه على نوع من الاستجابة، اما التعريف الاجرائي للاتصال هو عملية اجتماعية الهدف منها احداث تفاعل بين الافراد او تبادل للأفكار والمعلومات بطريقة مباشرة او غير مباشرة عن طريق وسائل الاتصال بمختلف انواعها[1] .

إن فاعلية الاتصال الإنساني، تعد من الأمور الأكثر تعقيدا في بيئة الاتصال التي يصعب أحيانا التحكم فيها أو ضبطها، وذلك على تطورات مع مهارات الناس في التعاطي مع أي مصدر اتصالي، بشريا كان أو تقنيا. ودور التطور الذي يفرض على أي جهد اتصالي في العملية الاتصالية، أو "من يتم التعهد الاتصالي لوقايته من شيء ما، ويشمل بذلك كافة الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي توجد وقت مزاولة التعهد الاتصالي . إن إدراك القائمين بالعملية الاتصالية لتلك الظروف ووعيهم بردود الفعل المتوقعة بذاتها" شرط أساس لنجاح نسبي في أداء النشاط التعليمي والاتصالي[2].

1 هادي نعمان الهيتي، الاتصال الجماهيري، المنظور الجديد، الموسوعة الصغيرة،العدد ٤١٢، دار الشؤون العامة، بغداد، 1998، ص32 .
2 المصدر نفسه .

فمثلا لا يمكن للطالب أن يتلقى التعلّم بشكل جيد ويستفيد منه ما لم يتواجد في بيئة تشجّع على الإبداع وتحفز التفكير وتدفع بالفرد إلى آفاق من التعلم القائم على التفكير الإبداعي والبعيد عن القوالب الجاهزة والمعلبة، ولتوفير بيئة تعليمية جيدة فلا بدّ من وجود مجموعة من العناصر الأساسية التي تحفز على التعلم ومنها[1]:

1-وجود وسائل متعددة للتعليم تساعد على الحوار والمناقشة.

2-وجود مكتبة متخصصة تحفز على البحث وتشجع على الدراسة.

3-وجود قاعات دراسية تساعد على شيوع روح المناقشة والإبداع.

4-إعطاء الفرصة للطلاب للمناقشة والحوار والإبداع والاختلاف، فالإبداع ينمو في أجواء الحوار ويموت في مهده في أجواء الدكتاتورية الصارمة.

ويعد التسامح القيمة الأساس التي يجب مراعاتها وتعلمها في البيئة التعليمية، الأمر الذي يدعو إلى نوع من التفكير في مبادئ جديدة لمضمون العملية التربوية، التي تأخذ بعين الاعتبار التعدد الثقافي واللغوي والعرقي. وتدفع بالعامل السياسي إلى التفكير النقدي وإرساء ثقافة الحوار .

فالبيئة التعليمية هي مجال للاختيار وتقوية الحس النقدي والإبداعي لدى الشاب، وليس لتعلم جميع الأفكار والنظريات حتى في المجتمعات الديمقراطية، ففي ظل هذه الأخيرة فأن التعبير السائد بأن جميع الآراء تحترم غير صحيحة، فما يتم هو التعبير عن الآراء والأفكار والدفاع عنها والتصويت لها أو ضدها، فالجميع يتمتع بضمانات الحماية نفسها، غير أنه لا يعني هذا أن جميع الأفكار يتم احترامها إذا كان المقصود هنا قبول الآراء من دون نقدها أو رفضها، ففي الديمقراطية جميع الأشخاص يتم احترامهم على قدم المساواة ولكن ليس جميع الآراء[2].

إن المشروع المجتمعي الذي يجب أن تراهن عليه البيئة التعليمية هو مشروع يهدف إلى ترسيخ حق الاختلاف في الناشئة، وليس اختلاف الحقوق، وهذه النظرة للتسامح تتطلب قبول بعض الثقافات والمعتقدات التي يمكن ممارستها والتعايش معها شريطة أن لا تتعارض مع القوانين أو حقوق الإنسان، وأن تكون لدى الناشئة القدرة على قبول رفض الآخر لأفكارهم ومعتقداتهم،و ان يكون الإنسان متسامحا يعني القدرة على العيش مع الذين ننتقدهم ومع الذين ينتقدوننا[3] .

1 فتح الباب عبد الحليم، وسائل الاعلام والتعليم، القاهرة، 1998، ص 8 .
2 ربحي مصطفى ومحمد عبد الديس، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار الصفاء، 1995، ص56.
3 المصدر نفسه .

المناهج التعليمية

تعتبر المناهج الدراسية عماد العملية التعليمية وهي الوعاء الذي تقدّم من خلاله المعلومة للطالب لكي يستوعبها ويستفيد منها مما يساعده في مسيرته العلمية، ويجب أن تكون المناهج الدراسية مصاغة بشكل يساعد الطلاب على الحوار والمناقشة وتحفيزه على إيجاد بيئة تساعد على الحوار وتشجع على ثقافة الحوار وقبول الآخر[1].

بيئة العمل

الحديث يمتد ليشمل مؤسسات الدولة الحكومية و الأهلية،إذ يجب أن تشجّع على الحوار وسيادة ثقافة الحوار والمناقشة بين منتسبيها، ولا شك أن عقد المؤتمرات العلمية لمناقشة المواضيع الهامة هو أحد المحاور الأساسية لإشاعة أجواء الحوار ونشر ثقافة الحوار في المجتمع، ولعل إقامة تلك المؤسسات للمؤتمرات العلمية والندوات وورش العمل واللقاءات العلمية والمهرجانات والاحتفالات ومختلف الأنشطة الثقافية والحوارية يعد استشعاراً رائداً في إشاعة أجواء الحوار وثقافة التسامح في المجتمع. فالحوار وثقافته لا يمكن أن ينموا إلا بالمناقشات والمؤتمرات واللقاءات العلمية[2].

رابعا: وسائل الاتصال الحديثة ودورها في نشر التسامح والتعايش السلمي

الاذاعات المسموعة والمرئية

ان التطور السريع الذي حدث في وسائل الاتصال جعلها من اهم الوسائل في العصر الحديث لاكتساب المعلومات والاتجاهات والمعارف والمساهمة فيتقدم المجتمعات ورفاهية حياة الناس . ونحن نعيش عصر السرعة في كل مجالات الحياة، وشملت السرعة في مظاهر التغيير الاجتماعي في التمع التي فاقت مظاهر التغيير في العصور السابقة، إذ أدى التطور السريع في وسائل الاتصال الذي ساهم في انتشار هذه الوسائل ودخولها في كل مفاصل الحياة الانسانية، اذ لايخلو أي منزل او مؤسسة اجتماعية من وسائل الاتصال سواء على مستوى (التلفاز) او اجهزة الاستقبال(الصحون اللاقطة) او استعمال الانترنت لذا إ ن معرفة الدور الذي تقوم به وسائل الاتصال (قنوات البث الفضائي، شبكة الانترنت) في المجتمع اصبح من الضروريات الذي يتيح لنا معرفة مايترتب على هذا الدور من سلبيات او ايجابيات وبالتالي

1 المصدر نفسه.
2 فتح الباب عبد الحليم، المصدر السابق، ص11-9 .

يمكننا من الاستفادة في عمليات التخطيط للبرامج التي تبثها هذه الوسائل وفي نوعيتها وكيفية توجيهها للتاثير في المجتمع بصورة تلائم مع الخطط الموضوعة[1].

لقد تطورت أدوات الإعلام السمعية و البصرية تطوراً واسعاً و سريعاً ليس على مستوى الإمكانيات المادية بل على مستوى المحتوى الإعلامي الذي تقدمه. و قد ازدادت تطوراً مع التقدم العلمي الذي وصلت إليه البشرية في عصرنا الحاضر، و ازداد بالمقابل تأثيرها على الفرد والأسرة و المجتمع[2] .

ولا شك أن للتلفزيون آثاراً إيجابية لعل من أبرزها دوره في زيادة مدركات المشاهد خاصة الشباب حيث يتعرف هؤلاء على كم كبير من المعلومات و الأفكار و الآراء مما يوسع من إدراكهم، فالفضائيات تقدم كثيراً من المعلومات التي يمكن الاستفادة منها، هذا إضافة إلى أن مشاهدة التلفزيون تزيد من قدرة الشباب على التذكر والاستيعاب وتنمي لديهم الخيال والابتكار كما تسهم في بناء شخصيتهم من خلال إعطائهم حرية الاختيار والرقابة الذاتية وتعزز لديهم الاستقلالية والقدرة على إبداء الرأي والرغبة في الحوار من خلال محاكاة ما يقدم في التلفزيون. إن للإعلام دور هام فيتغير السلوك الإنساني وذلك بتغير المعارف والقيم عن طريق المناقشة والإقناع . ويفترض على سبيل المثال، أنه في برامج الإعلام، تؤدي المعرفة إلى تغيير المواقف التي تؤدى بدورها إلى تغييرات سلوكية. والشاب عندما يستخدم الوسيلة الإعلامية ويعتمد عليها في مجال إشاعة ثقافة الحوار والتسامح يعكس حاجاته المعرفية والشخصية للمعلومة خاصة في ضوء تطور المستجدات الثقافية و الاجتماعية مما يعني أن أسباب وجود تأثيرٍ واتجاهٍ إيجابي نحو الوسيلة الإعلامية في مجال إشاعة ثقافة الحوار و التسامح إنما يعبر عما تشبعه من حاجات لدى الشاب وتؤكد دور الوسيلة الإعلامية الرئيس في حياته بعيدا عن الترفيه وقضاء وقت الفراغ بحيث يتوقع الشاب من خلال متابعة وسائل الإعلام يعود للعائد المتوقع منها في مجال إشاعة ثقافة الحوار و التسامح، وهذا ما يفسر لنا وجود عدد من الشباب في المجتمع العراقي يخسر ماديا مقابل متابعة الوسيلة الإعلامية (الإنترنت) نتيجة لما يتوقعه من عائدٍ من جراء اهتمامه بمتابعة هذا النوع من الوسائل الإعلامية في مجال زيادة وعيه الثقافي و الفكري و الاجتماعي[3].

1 مازن مرسول، خطاب الفضائيات والتغيير الاجتماعي، بحث منشور على شبكة الانترنيت، 2006 .
2 محمود شمال حسن، المشاهدة التلفزيونية واشكالية استشارة السلوك العدواني، مجلة افاق عربية، دار الشؤون الثقافية، 1988، ص59-93 .
3 المصدر نفسه .

الانترنيت

تعدّ شبكة المعلومات الدولية Internet من أبرز المستحدثات التكنولوجية التي فرضت نفسها على المستوى العالمي خلال السنوات القليلة الماضية، حتى أصبحت أسلوباً للتعامل اليومي، ونمطاً للتبادل المعرفي بين شعوب العالم، كما أن الانتشار السريع لهذه الشبكة جعلها من أهم معالم العصر الحديث، حتى إن البعض أطلق على هذا العصر (عصر الإنترنت)؛ لما أحدثته هذه الشبكة من آثار عميقة، وتغيرات جذرية في أساليب وأشكال التواصل في شتى مناحي الحياة. كما تعد الإنترنت ثورة علمية في مجالات الاتصالات البشرية ؛ لكونها توفر سهولة الاتصال الفكري بين مستخدميها مقارنة بوسائط نشر المعلومات الأخرى التي تعدّ عالية الكلفة ومحدودة النطاق، وتستغرق وقتاً أكبر لإتمام الاتصالات. وشبكة الإنترنت أحد مصادر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة، وأوسعها انتشاراً، فضلاً عن كونها جامعة مفتوحة يستفيد منها طلاب العلم والمعرفة، وتعقد من خلالها لقاءات وندوات ومؤتمرات في جميع أنحاء العالم، ومن خلالها تنمو العلاقات الإنسانية بشتى أنواعها بلا حدود أو قيود مفروضة([1]).

أن ثورة الإنترنت غيرت من الفكر الإنساني، وفرضت على المهتمين بالحوار محاولة توظيف تكنولوجيا الاتصال بواسطة الإنترنت في المناظرة عن بعد، كمنهج حواري فريد يساعد على تغيير الفكر والعقلية والإبداع في المهارات الذاتية . أن تدفق المعلومات والاتصال يفسح المجال أمام وسائط الاتصال لترسيخ أسس التفاهم والحوار بين مختلف الثقافات للتعبير عن نفسها بكل حرية، فهل استطاعت ثورة الاتصال بآلياتها المختلفة تعزيز قيم الحوار وعقد ميثاق شرف عالمي يتم التأكيد من خلاله على التكافل والتداخل بين حرية التعبير واحترام العقائد والرموز الدينية، هل تمكنت ثورة تكنولوجيا الاتصال من التصدي للمواقف السائدة والمزاعم فيما يتعلق بالمتعصبين لعقائدهم وأفكارهم وهم كثر، ألا يمكن لوسائط الاتصال الجديدة أن تتجاوز التصورات النمطية الموروثة بين الأديان والمذاهب والثقافات والحضارات، وتبدد الجهل الذي يغذي سوء الظن بالآخرين وينمي الحقد ضدهم، وبالتالي هل هناك من أمل في ترشيد وسائل الاتصال وتوجيهها لتعزيز روح التسامح والقبول بالاختلاف بحيث يصبح التنوع فضيلة وفرصة للتفاهم([2]) .

1 عبد الله عمر خليل، شبكات المعلومات في التعليم العالي (التدريس والبحث)، في تكنولوجيا التعليم – دراسات عربية، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1999، ص85– 88.

2 أحمد حسن خميس، كل شيء عن استخدام الإنترنت، مكتبة خوارزم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص35 .

لقد أسـهمت شبكة الإنترنت في توسيع دائرة الجدل حول موضوع القيم، بما تتيحه للباحث مـن فـرص كبرى لاقتصـاد الجهـد وتركيز بـؤر البحث والاسـتطلاع، اذ من خـلال البحث بالانترنيـت، يتوصل الباحث لمعلومـات بحثه، وينطلق الغوص الفكـري بين دروب المعرفة، وزيارة المكتبات الكبرى والاطلاع على أحدث النتائج العلمية في حقل تخصصه، الذي يحيله في كثـير من الأحيان بالمنهج الترابطي على تخصصات أخرى، يتخطى معها كل الحواجز الجغرافية والثقافيـة والعقائديـة التي حالت منذ فجر التاريخ دون انتشـار الأفـكار، وتلاقح الثقافات، وتبـادل المعارف حـول الأديان والمذاهـب. فاليوم تمر مقاديـر هائلة من المعلومـات عبر هذه الحدود على شكل إشارات إليكترونية لا يقف في وجهها شيء، وفي ذلك الكثير من نواح إيجابية وأخرى سلبية.([1])

الصحف والمجلات

تلعب الصحافة بأنواعها المختلفة دورا كبير في صناعة الوعي وتشكيل الرأي العام، التلفزيون والاذاعة والصحف والجرائد ومواقع التواصل الاجتماعي هي اليوم من يقود العالم عبر توجيه الجماهير ودفعهم الي تبني سياسات محددة تجاه قضايا معينة.

ان كبريـات الصحـف والقنوات العالمية لهـا تأثيرها الأكبر في القرارات الدولية وسياسـات الدول المؤثرة، كما أن لها دور كبير في توجهات الشعوب ومواقفهم ازاء الأحداث التي يشهدها العالم. وبناء على ذلك فالإعلام لابد ان يتحمل مسؤولياته تجاه الوطن من خلال توعية المواطنين في بناء بلدهم ورفع مسـتوى وعيهم تجاه المصالحة ونشر ثقافة السـلام المبنية على الحوار والنقد البناء والتسامح لما لها من أثر كبير على تنمية الأفراد ونهضة البلاد. وتتجلى مسؤولية الصحافة تجاه الوطن والمواطن في أوضح صورها من خلال اعداد النشرات الإخبارية والبرامج الحوارية وكيفية توجيه الأسئلة وتوزيعها على الحضور[2].

لا يعنـي ذلـك اننا نطالب اخفاء المعلومـات واللعب بوتر الانتقاء بحجـة الخطر على الأمن القومـي. بالعكس نعتقد ان كل موضوع قابل للنـشر وطرحه للنقاش ما لم يجرمه القانون لكن فقـط ينبغي على المذيعين ومقدمي البرامج الحوارية الإلتزام بالمنهية وقواعد الحوار وآدابه حتى يكونوا قدوة للآخرين وبهدف ان تترسخ قيم الحوار وقبول التنوع الفكري في اذهان المواطنين

1 عبد الله عمر خليل، المصدر السابق، ص93-89 .
2 كيف ترسخ أدب الحوار والنقد- مجلة الفرقان
www.al.forqan.net

كأسلوب لإنهاء خلافاتهم سياسية والاجتماعية. ويجب على مقدمي البرامج الحوارية ان يحثوا ضيوفهم على استخدام فن الحوار والاقناع وسيلة لهزيمة الخصم وليس بالمصارعة واستخدام الألفاظ النابئة، وقال رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم : " ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء "[1] .

خامسا: دور المؤسسات الإعلامية في نشر ثقافة التسامح ومكافحة التطرف

تعد المؤسسات الإعلامية من أكبر المؤسسات الاجتماعية والثقافية تأثيراً في نشر ثقافة التسامح ومحاربة التطرف أو العكس، فالمؤسسات الإعلامية أصبحت أكثر وسائل التواصل البشري تأثيراً في صناعة الثقافة، وتشكيل الوعي، وتحديد توجهات البشر في مختلف المجتمعات، وذلك بحكم قدراتها الواسعة والمؤثرة في نشر المعلومات بكافة أشكالها إلى جماهير واسعة من الناس بسرعة فائقة، من خلال البرامج الإخبارية والترفيهية والتسويقية والدينية والثقافية المختلفة، ولكي تحقق وسائل الإعلام دورها المنشود في نشر قيم التسامح ومكافحة التطرف، فلا بد من استنادها لاستراتيجية شاملة وبعيدة المدى تحدد من خلالها مجموعة أهداف تعمل جميع الأطراف الإعلامية والمجتمعية على تحقيقها بشكل مشترك، وقد دلت الدراسات على أن وسائل الإعلام تعلب دوراً مهماً في تشكيل الرأي العام وفي التنشئة الاجتماعية وفي غرس القيم الثقافية ونشر الوعي بالآخر، وبالتالي فهي محرك رئيس لتعزيز قيم التسامح ومحاربة التطرف[2].

المبادرات الإعلامية المقترحة

إطلاق قنوات ومؤسسات صحفية وإلكترونية متخصصة في بناء ثقافة التسامح ومكافحة للفكر الإرهابي والمتطرف، باللغة العربية وتكون موجهة لجميع شرائح المجتمع.

إطلاق برامج تأهيل وتدريب إعلامي فكري للإعلاميين لتمكينهم من التفاعل الناجح مع قضايا الفكر المتطرف، من خلال تبني خطاب إعلامي يدافع عن قيم التسامح والعيش المشترك ويحارب الفكر الإرهابي المتطرف.

إطلاق برامج استقطاب الصحفيين والمؤثرين العالميين للحضور إلى المنطقة العربية، والإطلاع على واقع التسامح والتعايش المشترك في بعض النماذج المشرفة في المنطقة.

تعديل المناهج الجامعية في الإعلام والاتصال لتتضمن مفردات مهمة في نشر التسامح،

1 المصدر نفسه .

2 ربحي مصطفى ومحمد عبد الديس، المصدر السابق، ص57-56 .

ومكافحة التطرف عبر وسائل الإعلام.

إنشاء مراصد إعلامية لمتابعة التغطيات الإعلامية العربية والعالمية للفكر المتطرف واتجاهات أي العام بناء على منهجيات تحليلية حديثة.

بناء علاقات تشاركية بين المؤسسات الإعلامية والمؤسسات الثقافية والتربوية والاجتماعية، لتوفير دفق فكري من تلك المؤسسات إلى الفضاء الإعلامي.

إطلاق حملات إعلامية مركزة عبر وسائل الإعلام التقليدية والاجتماعية والإلكترونية، للتوعية بقيم التسامح والتحذير من الفكر المتطرف.

الاستفادة من المؤسسات والمنتديات التي تتبنى المبادئ المشار إليها ونشر ما يصدر عنها، بما في ذلك اعداد برامج حوارية ومسلسلات إذاعية وتلفزيونية، وتشجيع الكتاب والمفكرين لتناولها في كتاباتهم.

تشجيع المؤسسات الإنتاجية والأفراد على إنتاج برامج ثقافية تركز على التسامح والاعتدال وتقبل الآخر وتشجع حوار الحضارات.

التوصيات

الاستفادة من جميع الاستراتيجيات الهادفة إلى نشر ثقافة وقيم السلم، ومما راكمته البشرية بخبرتها الطويلة من وسائل وآليات حل النزاعات كمؤسسات التحكيم والوساطة الدولية.

استثمار كل الوسائل المتاحة لنشر ثقافة السلم والوئام (كتب ومجلات وكتيبات ونشرات وقنوات إعلامية ومواقع إلكترونية وتجمعات شبابية وجمعيات ومنتديات.

دعوة وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي إلى تحمل مسؤولية الكلمة وتقدير آثارها على التعايش والوئام، وإلى الانخراط في تعزيز ثقافة السلم في المجتمعات المسلمة.

دعوة المثقفين والأدباء والمبدعين إلى الانخراط في دعم رسالة هذا المنتدى وإلى الإسهام في تعزيز ثقافة السلم والتعايش في المجتمعات المسلمة.

الاستفادة من الحصيلة العلمية للبحث الأكاديمي الشرعي فيما يتعلق بفقه السلام والوئام والمصالحة (حصر الدراسات وتصنيفها وتقويمها ونشر ما يستحق النشر منها.)

دعم المجتمعات المسلمة في الغرب تربويا وتعليميا وفقهيا بما يسمح لها ولأجيالها الصاعدة

بفهم الإسلام في سماحته ووسطيته، ويجنبها مزالق التطرف والعنف والصدام مع مختلف مكونات المجتمع، ويدفعها إلى الانخراط في تنمية أوطانها بما يضمن التعايش للجميع وتصحيح صورة ديننا الحنيف وصورة أتباعه في الغرب.

إجراء دراسة تحليلية لوسيلةٍ إعلاميةٍ واحدةٍ كدراسة حالةٍ لتكون أكثر عمقًا بحيث يكون التركيز على هذه الوسيلة فقط دون غيرها خاصة مع التطور الإعلامي المستمر في تقنيات ومضامين الوسائل الإعلامية المختلفة ومدى الإسهام في مجال إشاعة ثقافة الحوار و التسامح .

أن تستمر وسائل الإعلام في مجال إشاعة ثقافة الحوار و التسامح والتنويع في برامجها وموادها حتى يكتسب الشباب قيمًا اجتماعية و ثقافية جديدًة .

أن تراعي وسائل الإعلام متغيرات المجتمع عند عرض برامجها ورسائلها الإعلامية المرتبطة ببرامج إشاعة الحوار و التسامح بحيث تكون ملبية لحاجات كافة الأعمار في المجتمع العراقي ومستوياتهم التعليمية.

أن تقوم وسائل الإعلام المحلية المختلفة بالاستفادة من توجهات الوسائل الإعلامية الأخرى كالقنوات الفضائية العربية والصحف والإذاعات العربية في أسلوب عرض مواد إشاعة ثقافة الحوار والتسامح لموجهه للأفراد بمختلف شرائحهم.

ملتقى النبأ للحوار
Al-Naba Forum for Dialogue
N.F.D